حدث بالقول

أحمد صادق محمد توفيق

بدأت كتابتها تقريبا فى ٧ - ٢٠١٠

و أنهيتها فى ١٥ - نوفمبر — ٢٠١١

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

كتاب إلكترونى يصدر تبعا لموقع المؤلف

All rights reserved for the author and its domain name

This ebook is copyrighted by the unique domain name

http://lostparticles.net

All subdomains of this domain are a private property for the Author

الفصل الأول

□

لم أستطع النوم فى تلك الليله

أخذت اتقلب فى الفراش و الأرق يملأ رأسى بوساوس عديدة

ثم جاء الفجر و تحاملت على نفسى كى أصليه و من ثم جلست قليلا أتصفح الشبكة العنكبوتية علنى أصل إلى شئ جديد لا أعرفه

فى الساعة الحادية عشرة ... دق جرس المحمول

لا أدرى كم مرة دق و لكنى عندما استيقظت غارقا فى عرقى أدركت أنه ربما كان يدق منذ نصف الساعة

وبدلا من أن أذهب إلى الرد عليه ... خرجت إلى ردهة الشقة كى أرى إن كان هناك أحد فى البيت

لا أحد

ناديت على أبى و أمى فلم أجدهما

أظن إن أمى فى العمل الآن ... و لن أتسائل إلى أين يذهب أبى حاليا

رجعت إلى الغرفة فوجدت كوبا باردا من الشاى بلبن ... و هذه هى القاعدة .. فهم يستيقظون فجرا و يشربون الشاى بلبن و يتركون لى كوبى الأسود اللون إلى أن استيقظ.

تجرعت الكوب مرة واحدة ثم ألقيته فى المطبخ.

دق الجرس ثانيا

بامتعاض اتجهت نحو الهاتف ثم نظرت إليه لأرى من المتصل

اللعنة ... شاشة الهاتف مكسورة منذ ما يربو على السنة و لم أستطع إصلاحها حتى الآن ... إذن ماذا الآن؟؟ هل أرد على الهاتف ؟! أم ماذا أفعل تحديدا !!!

أنا: ألوو

المتحدث: عايز أجيلك ضرورى

أنا: إنتا مين ؟!!

المتحدث: قوام نسيتنى كده، مش فاكر زميلك اللى كان منغص عليك حياتك فى الكلية

تريثت قليلا فى الرد و أخذت أحاول أن أتذكر شخصية المتحدث ربما اكون اعرفه فعلا

لم تسعفنى ذاكرتى

أنا: لأ مش فاكر الصراحة

المتحدث: طيب انا عايز اجيلك، انتا قلتلى فى عمارة كام؟

أنا: عمارة ٤

المتحدث: طيب انا جاى، خليك عندك اوعى تمشى.

أنا: ماشى، مستنيك

أغلقت الهاتف و ألقيت به على الأريكة

لست ممن يحب استكشاف الأشياء أو معرفة أكثر مما أريد أن اعرفه – و أنا لا أحب أن أعرف شيئا

علمتنى الأعوام السابقة أن المعرفة أمر له تبعاته السخيفة (الرخمة إن صح القول) و لذلك فأنا لا أحاول أن اعرف كثيرا عن أى شخص حتى لا أدخل ضمنيا فى دائرة أحلامه أو دائرة مرجعياته أو دائرة من يكرهونه.

توقفت فى منتصف الغرفة

ماذا الآن ؟؟

من الممكن ان العب قليلا حتى يصل ذلك الزائر المجهول

لعبة حرب الشوارع "Street Fighter" يالها من لعبة تعيد إلى الأذهان ذكريات عزيزة

ذكريات الوقوف عاجزا أمام اللعبة فى ذلك المحل القريب

آخر كوين و أنا مهزوم هزيمة نكراء فى المرحلة الثانية

و كل الزملاء ورائى يستعجلون هزيمتى حتى يأخذوا أماكنهم فى تلك الهزيمة النكراء

أشغل محاكى الجهاز و أضع اللعبة و أختار بطل اللعبة "ريو"

سأهزم اللعبة للمرة السبعين فى ذلك الشهر (فاضى بقى)

...

دق جرس الباب

فكرت "من ذلك السخيف الذى يأتى فى الواحدة ظهرا"

قررت تجاهل الباب و الواقف وراء الباب فاللعبة فى أوجها و أنا أعيد المباراة للمرة الثالثة عشرة و لا يزال الوغد يهزمنى

دق جرس الباب ثانية

"يووووووووووه" زفرت بضيق متناه و تركت اللعبة و أنا عازم على أن اقول "لا" فى وجه الواقف... او ان ادفع له ...، او اى شئ يريحنى من هذا الدق المتواصل.

ربما يكون المحصل أو جامع القمامة أو البواب أو خطابا من البنك يخبرنى بزيادة مديوناتى لهذا الشهر مع الفائدة المركبة

فتحت الباب

أطل على وجه شخص مألوف

قال: "إزيك عامل ايه !!!"

نظرت قليلا إليه، ثم ظهر الفهم على ملامحى فابتسمت ضاحكا و قلت له "هوا انتا يا منيل"، "اززيك، عامل ايه"

قالى "كويس الحمد لله، دخلنى عشان تهت ساعة عقبال ما جيتلك"

قلت له : "اتفضل اتفضل، يادى النور يادى النور، خطوة مالهاش ملامح"

"ايه اللى فكرك بيا بعد السنين دى؟؟!!" هكذا قلت.

دخل إلى الشقة فأغلقت الباب و أشرت له ليتجه إلى الغرفة.

أجلسته على الأريكة، فجلس على هاتفى ذلك المخبول، فتجاهلته و ذهبت كى أعد الشاى.

و بينما أنا أبحث عن الشاى أساسا تركته غارقا فى أفكاره

و غارقا فى أريكتى

يهشم هاتفى قاضيا على البقية الباقية من أجزائه السليمة.

□

□

□الفصل الثانى

جلست على الأريكة و انتظرت أن يأتى زميلى كى يجلس معى

لكنه لم يأتى هذا الأخرق

لوح لى بما معناه أنه سيعد شيئا كى يضيفنى

"يا عم انا مش عايز حاجة، انا عايزك انتا" هكذا ناديته

"استنى شوية بس هلاقى الشاى و اجيلك" هكذا قال

ليس بأحسن الناس فى أن تستشيره بشئ

لطالما كان هذا الشخص يثير أعصابى كلما تقابلنا فى الكلية

فهو ينظر إلى الأشياء من دون أى اهتمام

و يسرح كثيرا جدا

و لا تستطيع أن تحدد فيم يفكر بالظبط

كثيرا ما كان يدارى عدم اهتمامه بأى شئ بأن يحاول الإهتمام بشئ ما و التركيز عليه

و على هذا الأساس فإنه يعرف الكثير عن مواضيع عدة

و لهذا جئت إليه

فعلى الرغم من أنه لا يهتم

و لكنه يستطيع أن يبدى رأيا فى الأمور الأخرى

آرائه ليست صائبة على أيه حال و لكنه واسع الصدر لا يمل أبدا من محدثه و هذا لطبيعته الغير المهتمة بالأساس

فلو كان مهتما مثلنا بأشياء عديدة فلربما كان يفعل شيئا آخر هنا او هناك و ربما سألنى أصلا من أكون فى الهاتف منذ قليل.

جاء حاملا كوب الشاى و صحنا به مادة خضراء

"ايه ده ؟؟!! ... طب ده شاى ، وده ايه؟؟"

"خبيزة"

نظرت إليه فى دهشة

"خبيزة ايه"

قال لى: " خبيزة ... ايه يابنى ما تعرفشى الخبيزة اللى هيا شبه الملوخية، قلت اجيبلك اكل شكلك ما كلتش من الصبح"

أنا: "مش عايز زفت خبيزة، شيلها من هنا و هات الشاى"

نظر لى بغباء ثم بتهديد : " إنتا عايزنى ارميها يعنى !!!"

قلت لها مستعطفا: "صدقنى واكل قبل ما اجيلك، و مش عايز آكل دلوقتى، مافيش مشكلة كفاية الشاى"

نظر لى بقرف : "انتا حر، بس اعمل حسابك انك رفضت عزومتى، مع انك جايلى من غير معاد و بعد ست سنين نسيت فيهم شكلك أساسا"

ثم أتبع قائلا: "اللى ياكل على ضرسه ينفع نفسه"

و أعطانى الشاى

أخذت الكوب إلى فمى و استشقت البخار فوجدت رائحته طيبة جدا

رشفت منه رشفة وفكرت فى أن هذا الشخص نفسه فى الشاى عالى المزاج

لربما أخطأت بأنى لم أتناول الخبيزة

تركنى أشرب و أخذ يلعب شيئا ما على اللابتوب الخاص به

أخذت أنظر فى أنحاء الغرفة فوجدت مصحفا

أخذته و نظرت إليه ثم قلت "ما شاء الله، حاطط المصحف جنبك يالك من مؤمن"

ثم أتبعت ما قلت بأن نفثت الهواء على المصحف فتطايرت الأتربة بسبب النفخ

و أتبعت فى سخرية "واضح انك فعلا بتقرا"

نظر لى بعين مفتوحة و أخرى نصف مغلقة و هز رأسه فى استنكار

"احنا اللى بنعمله فى الناس هيطلع علينا و لا إيه"

ثم أزاح الجهاز من أمامه وجلس القرفصاء ثم سدد لى نظرة مباشرة فى عيناى و سألنى

"ماذا تريد؟!!!"

الفصل الثالث

بعدما أعطيته كوب الشاى و طبق الخبيزة العزيز إلى قلبى رفض الطبق بدون كياسة

و كنت أريد أن أرميه من فوق الأريكة بعدما هشم هاتفى المحمول ذلك المتخلف و لكنى حاولت التماسك و رجوت الله ان يظل الهاتف سليما كما هو.

أزحت اللابتوب

و جلست القرفصاء

و نظرت إليه فى تراخ قائلا: "ماذا تريد؟!"

أمال جذعه إلى الأمام قليلا و نظر إلى الأرض

ثم رفع عينيه من دون أن يرفع رأسه و قال : "عايز أتجوز.؟!"

تسمرت فى مكانى قليلا

ثم بدأت أستوعب ما يقول رويدا رويدا

ثم بدأت أعصابى فى الإضطراب و أحسست بشئ يمشى على أذنى

ففركت أذنى فإذا بهذا الشئ يمشى على مقدمة رأسى فهرشت رأسى

ثم إذ بى أهدأ و أقول له : "طب والله عال، انتا عايز تتجوز دلوقتى"

ثم بغيظ شديد أردفت: "و انا مال أهلى؟!؟!"

ارتسمت عليه شبح ابتسامة ثم قال: "فاكر حنان؟!؟!"

"حنان مين؟!؟!"

هو: "حامل هيا دلوقتى فى البنت التانية"

أنا: "تشرفنا، حامل من مين ؟؟"

هو: "منى يا أخى، انتا مش فاكر اننا متجوزين"

أنا: "أساسا انتا ماكنتش صديقى عشان أتتبع أخبارك، و المرة الوحيدة اللى عزمتنى فيها على حاجة ساقعة كان عشان تاخد منى طريقة كتابة برنامج التصميم بعد محاضرة غبية من محاضرات اللى ما يتسمى"

هوا: "مانا كنت واخد البرنامج عشان أديه لحنان"

أنا: "حنان مين؟؟!!"

هو: "مراتى يا أخى، إفهم بقى .. أو ساعة لما كنت بحاول انى اتقربلها"

أنا: "استنى استنى، هيا حنان دى البنت اللى انتا كنت بتمشى معاها آخر سنة فى الكلية"

هو: "اسم الله عليك، آديك افتكرت اهه"

فعلا بدأت فى التذكر

حنان هى الفتاة الوسطى من بين ثلاثة فتيات

رائقة البال رائقة المزاج

لا ترد أحدا و لا تهاجم أحدا و لا تسعى إلى شئ

سمراء بها رقة واضحة و جمالها نيلى هادئ

و الحق يقال إنها لم تكن تثير أحدا كى يتكلم معها أو أن يرفع حاجباه ليعرف من هى و ماذا تريد

و على هذا الأساس فلم نعرف عنها معشر الرجال (الشباب المراهق إن صح التعبير) أى شئ و ببساطة لم نكن ننتبه إليها

حتى جاءت السنة الثالثة عندما صادقت أكثر البنات إثارة فى الكلية، و أكثرهن دلالا، و أكثرهن سماجة أيضا (هند) الفتاة البيضاء البضة التى تشبه نانسى عجرم بعد التعديلات.

كانت صديقتى حنان الإثنتين قد ارتبطا كلا منهما بشخص واحد (سمج إلى أقصى درجات السماجة، يهوى إفساد علاقات الآخرين) و بالطبع فقد عرفت البنتين بأنهما خدعتا من شخص واحد و كرهت كل منهما الأخرى.

و أصبحت حنان فى وضع لا يحسد عليه، فإما أن تكون مع هذه أو تلك و هما صديقتان أو هكذا كانت تحسبهما، ولأنها لا تعرف الأخذ و الرد، فقد تم اتهامها بأبشع الإتهامات لأنها لم تفضل إحداهما على الآخرى.

لم ينقذها من هذا الموقف سوى (هند) البيضاء البضة التى ترسل شعرها الأشقر المجعد فتعمل السخانات الشمسية و ينتحر طير الوروا فى أغنية فيروز، هند التى كانت محط أنظار الجميع ... يحبها جميع الشباب، و تكرهها العديد من الفتيات.

جائت هند فى مرة من المرات القلائل التى تأتى فيها إلى الكلية و أخذت حنان من يدها من وسط الصديقتين و قالت لها: "أنا لم أفهم تلك المسألة العويصة، و ستساعدينى فى حلها" و نظرت نظرة متعالية على صديقتيها و أتبعت: "و ستساعدينى الآن!!"

و منذ تلك اللحظة لا ترى حنان إلا مع هند، و لا هند إلا مع حنان

و جن جنون الجميع.

نظر لى قائلا: "هل تذكرت الآن ؟؟!!!!"

قمت من مكانى و بحثت عن قصيدة أراك عصى الدمع لأم كلثوم و قمت بتشغيلها.

ثم رجعت إلى مكانى

و أخذت نفسا طويلا ثم أخرجته كله

و هذه المرة سددت إلى وجهه نظرة حادة طويلة

و قلت له: "نعم الآن تذكرت !!!"

و تصاعد صوت البيانو المنبعث من القصيدة.

الفصل الرابع
"إحكى يا عم الكتكوت"

"اللعنة ... لقد قام بتشغيل أم كلثوم مجددا"

لقد استفززته حقا تلك المرة

أعرف عنه ذلك الموقف منذ كنا معا فى ذلك السيكشان

كان كثير الغناء مزعجا إلى أقصى درجات الحدود

و لم نكن نطيقه إلا لشئ واحد

أننا كنا نستخدمه فى التقرب إلى تلك أو تلك بأن نقول لها أننا نعرف شابا غريب الأطوار يغنى لأم كلثوم و لا يعرف عبد الحليم

ساعتها كنا ننادى عليه و نقول له "قولنا الأغنية اللى فيها الآهات الطويلة دى"

فيأتى مبتسما كالأبله

ويرانا جالسين شلة واحدة

فينظر لنا سريعا ثم يغنى أغنية أخرى لا نعرفها

و ينطلق فى الغناء فلا نعرف كيف نسخر عليه

لأنه ببساطة قال شيئا جديدا لا علاقة له بما نتوقعه

و عندما ننظر إلى شريكاتنا نجدهن يتمايلن طربا مما يقول

"أتفهمين حقا ما يقول؟؟!!"

تنظر لى فى استخفاف و تقول "ألم تسمع مع قال" ... "و أهواك ولكنى أخاف ... و أستحى ... إذا قلت قلبى فى هواك جريح ... طريقى إليك الوجد ... و السهد و الضنا ... و دمع أداريه فى الهوى ... و ينوح"

فيتصاعد الدم إلى رأسى منها ثم أبتسم قائلا : "انا مش فاهم التراث اللى هوا فيه ده جايبه منين؟؟!!"

تنظر لى بخبث: "ده جميل جدا، مش معقولة ماتكونشى فاهم"

أعلم أنها أخذت على نقطة وهى عدم الفهم فأحاول أن لا أستثيرها أكثر من ذلك

أعلم هذا و أفكر

لقد خدعنى هذا اللئيم.

و هو الآن يسمع إحدى تلك القصائد التى طالما لم أفهمهما (و للحق إننى أفهمها و لكنى لا أعرف ما الداعى إليها أساسا)

"أريد أن أتزوج من زميلة فى العمل" هكذا قلت له

هو: "تريد أن تتزوج مجددا على امرأتك، على حنان أقصد"

أنا: "نعم هذا صحيح"

هو: "شئ جميل، لك الحق فى أربع زوجات، فما الذى تريده حقا منى"

أنا: "شئ ما خطأ، فجئت لأستشيرك لعلك تدلنى على ذلك الشئ الخاطئ"

هو: "تريد أن تستشيرنى و أنا الأعزب الفاشل فيما يتعلق بالعلاقات العاطفية، اسمح لى أن أتعجب و أتردد كثيرا قبل أن أشير عليك، أو حتى قبل أن أسترسل معك فى ذلك الحديث الغريب، لا أذكر أننى كنت على صداقة معك او مع حنان أو حتى مع هند، كل ما أذكره فقط محاولاتك الخرقاء أنت و أصدقائك للسخرية منى و التى عادة ما تنتهى بالفشل التام، او بكلام لا معنى له منى او منكم"

قال هذا ثم أغمض عينيه و ضغط بينهما مستخدما أصابعه

و بعد أن فتحهما نظر لى و تثائب

ثم قال: "قل لى !!!"

ثم أمال رأسه و نظر إلى ياقة قميصى

" ... أزميلتك فى العمل تشبه هند كثيرا ؟!!!"

أشحت بوجهى و يدى فى اضطراب

هذا الوغد عرف من فوره ماذا يعتمل فى نفسى

لهذا لم أدعوه إلى فرحى كبقية الزملاء

لهذا لم أحاول معرفة ماذا صنع فى كل تلك السنين

نظراته الساخرة دوما ما كانت تثيرنى و تستفزنى لأقصى درجات الحدود

نظرت له فى تحد و قلت له: "نعم ... تشبهها كثيرا ألم تكن تحبها أنت الآخر؟!!!"

نظر لى مبتسما و قال: "إنتا عبيط يابنى ... دى هند ... فاتنة الجميع و هوس الشباب من أول دفعة وحتى الدراسات العليا"

" أكيد طبعا كنت باحبها ... عينيها زرقا زرقا ... بحر لجى ... يغرق فيه العاشق ... و يظمأ منه الولهان"

" الا تذكر المظاهرة التى تم إخمادها عندما ظهرت هند فى ذلك اليوم ... الكل يغلى و اسرائيل تمارس ألاعيبها القذرة فى المنطقة ... و تم الإتفاق على المظاهرة السلمية و جلس الجميع فى الأرض ... حتى جائت هند فجأة و ألقت نظرة على الجالسين ثم ذهبت إلى المحاضرة"

"هل تذكر تلك المحاضرة التاريخية التى لم يكن يحضرها أحد ... و لا يحمل كتابها أحد ... دخلت هند فى ذلك اليوم إلى تلك المحاضرة... و كنت جالسا هناك كعادتى أغنى مع نفسى ... مستمتعا بالهدوء ... و أنقر على الديسك بالإيقاع"

"دخلت هند و جلست أمامى بمقعدين ... فأنشدت قائلا (كان قربك هنا و حنية و ليالى جميلة هنيه) ... ثم رأيت أحدهم ممن لا يتفق جدوله مع تلك المحاضرة يدخل من الباب ... ثم شخص آخر ... ثم آخر ... و بدأ المدرج فى الإمتلاء"

"لعمرى لقد شككت، فذهبت لألقى نظرة ... فوجدت الشباب و قد تركوا أماكنهم و بدأوا فى النظر إلى الساعات ... و الكل بدا عليه التأخير ... الكل قد قرر بأن محاضرة الإنسانيات هى المحاضرة الأهم فى هذا العام"

ثم نظر لى ضاحكا و أردف "المحاضرة التى بيع فيها الكتاب بأغلى من ثمنه ... لأن هند ... تلقت توبيخا من الدكتور بأنها لم تشترى الكتاب ... فسارع الجميع لإقتنائه علها تقترضه منه أو تسأله على شئ فيه"

ثم نظر لى متبعا: "عدت كى أرى المدرج ولم يكن فيه شبرا فارغا ... عدت فوجدت حنان ووجدت هند ووجدتكم كلكم حول حنان"

"فتركت المدرج و ذهبت إلى مكان المظاهرة ... و جلست هناك وحيدا ☺ "

ثم قام من مكانه و أخذ يغنى "فلسطين يبكى حماكى الشباب و جل الفداء و المفتدى ... فلسطين تحميكى منا الصدور فإما الحياة و إما الردى"

و نظر لى قائلا : " و ظللت أهمس بتلك القصيدة طوال الساعة و الربع التى كنتم فيها هناك ... فى تلك المحاضرة الجميلة ... تسمعون عن الإنسان و عن الروح و عن تقدم البشرية ... نعم كنت معجبا بها إلى أقصى درجات الإعجاب ... هلم و أخبرنى ماذا ... ماذا تريد منى تحديدا ؟؟؟"

الفصل الخامس
"نعم، أنا مشتاق و عندى لوعة، ولكن مثلى لا يذاع له أمر"

يقول الغزالى:

" (إعلم) إن المراتب فيما نقصده أربعة، و اللفظ فى الرتبة الثالثة، فإن للشئ وجودا فى الأعيان، ثم فى الأذهان. ثم فى الألفاظ، ثم فى الكتابة.

فالكتابة دالة على اللفظ، و اللفظ دال على المعنى الذى فى النفس، والذى فى النفس هو مثال الموجود فى الأعيان، فما لم يكن للشئ ثبوت فى نفسه لم يرتسم فى النفس مثاله، و مهما ارتسم فى النفس مثاله، فهو العلم به، إذ لا معنى للعلم إلا مثال يحصل فى النفس مطابق لما هو مثال له فى الحس، و هو المعلوم، و ما لم يظهر هذا الأثر فى النفس لا ينتظم لفظ يدل به على ذلك الأثر، و مالم ينتظم اللفظ الذى ترتب فيه الأصوات و الحروف لا ترتسم كتابة للدلالة عليه، و الوجود فى الأعيان و الأذهان، لا يختلف بالبلاد و الأمم بخلاف الألفاظ و الكتابة، فإنهما دالتان بالوضع و الإصطلاح."

وجمت قليلا بعد أن سألته ماذا تريد!! ... فأطرق رأسه إلى الأرض و أخذ يدق عليها بقدمه بعصبية بالغة ... و بإيقاع عشوائى لم أستطع أن أميز فيه قديما أو جديدا.

ثم رفع رأسه لى و قال: "لقد كانت هند معجبة بك كثيرا ... و أظنها كانت تحبك أيضا."

فرفعت حاجبى الأيسر و ضحكت قائلا: "يا رااااجل هى هى هى ، أنا ؟!!! ، لا لا لا أكيد لأا!. أنا لست بهذه السذاجة، ثم إننى لن أستسيغ قولك بأننى كنت مختلفا و قد أحبت إختلافى، أو أننى كنت منطويا فأحبت انطوائى، أو أننى كنت أغنى فأحبت غنائى ... هذا مما لا أقبله عليها ... فقد كانت أذكى من أن تسلم مقودها لمن على شاكلتى ... و هم أكتر من الهم على القلب"

زمجر فى وجهى ثم صاح: "يا أخى كانت معجبة بيك، أنا متأكد من هذا... ألا تذكر يوم أن جئت إليك كى تساعدها فى ذلك البرنامج الذى طلبه الدكتور منها"

قلت له: "أى نعم، أذكر هذا الحادث، يوم أن اعترضت طريقى و قلت لى إنى أحتاجك فى أمر مهم ... يومها قدمت لى هند و حنان و قلت لى إن هند تريد أن تكتب برنامجا ما و لا تعرف كيف تبدأ ... أذكر هذا جيدا"

نظر لى و قال:" حسنا ... لم يكن هذا ترشيحا منى لك ... لقد كان طلبا منها شخصيا، ولم أعرف كيف أردها عن هذا الطلب ... و حتى هذا اللحظة لم أكن أعلم أنك تستطيع أن تفعل أى شئ معقد كبرمجة الحواسيب ... و أيضا لم أعلم كيف عرفت هى"

قلت له: "كنت أعطيت هذا الدكتور بالذات برنامجا يحاكى الكامات (ده لو فاكرها) و كان مشدوها به جدا لدرجة أنه قرر أن يساعدنى حتى أصل إلى ذروة المجد ... كان

متحمسا و لم أعر الموضوع اهتماما أكثر ... فما أكثر المتحمسين ... و أكثرهم مدعون ... و لم أكن دعيا كبعضهم"

قلت هذا و أنا أرمقه بنظرة جانبية ففهم من أقصد مباشرة، و أشاح بوجهه ثانية فأتبعت بقولى: "و لكن هذا الحدث ليس دلالة على الإعجاب أو الحب، إنه ببساطة مساعدة، أو مصلحة، سمها كما تشاء، و لقد قبلت من باب التفكه و التندر، و استعراض المهارات لا أكثر، أن يقول بعضكم كيف لهذا الأبله أن يسير مع تلك الحسناء، و أنى له الوصول إليها، و كيف حدث هذا و متى؟!! و نحن فى غفلتنا هاهنا قاعدون"

نظر لى فى شك ووجه لى سؤالا مباشرا: "ماذا حدث عندما ذهبت معها؟؟!!"

ضحكت و لم أجب و أخذت أتذكر

"اززيك يا بشمهندس، الدكتور قالى انك الوحيد اللى تقدر تساعدنى فى البرنامج ده"

ابتسمت لها عالما بأن الدكتور بيسجل نقطة من خلالى و ليس لى .. لشخصى المصون

لا يهم ... ثم إذ هى رفعت الكتاب الذى يحوى المعضلة و فتحته بطريقة مسرحية فلمعت الدبلة الذهبية فى يدها اليمنى !!!

اللعنة

ألم تعلموا بعد أن هند مخطوبة منذ ما يزيد على العام

و أن خطيبها المزعوم هناك فى أعالى البحار حيث ينقب عن البترول و يقبض على قلبه آخر الشهر أدد كده

لو كنتم لا تعلمون فقد علمتم الآن

و مع هذا فقد تلقت المسكينة ذات الجمال الفاتن و الثغر الباسم العديد من رسائل الحب و الوجد و الكثير من المساعدات و الهبات، وقد كانت تقبلها كلها فيأتى أحدهم و يقول: " دى مصلحجية " ثم فى اليوم التالى تراه هناك .. عندها .. يقدم ما يقدر على أن يقدمه لها ثانية ... راجيا أن يكون حكمه فيها بالأمس خاطئا اليوم.

و يستمرون هكذا يوميا

و قد جاء دورى فى تقديم القرابين

و لم لا ؟؟

إنها لفاتنة و الحق يقال، و لا مانع من أن ألقى بعضا مما أعلم مقابل تلك اللحظات الفانية فى جوارها.

سألتها: "الدكتور قالك ايه بالظبط؟؟!!"

هى: "قال لى إنك تعلم كيف يعمل هذا الشئ المكتوب و أصر على أن أسألك كيفية تشغيله و تعليمى أيضا إن لم يكن عندك مانع"

أنا: "و هوا فيه حد يقدر يتأخر عليكى يا هند، إلا قوليلى لو سمحتى؟؟"

هى: "اتفضل"

أنا: "تعرفى هند بنت عتبة؟؟؟"

هى باستغراب شديد: "مين عتبة ده، ها ها ها ، فضلوا يقولولى انك شخص غريب بس انا ما كنتش اعرف انك ظريف كده، يكونشى قصدك العتبة الخضرا ؟؟!!، لا ياعم لسه ما اشتريناش الترماى"

هززت رأسى وقلتلها "مافيش مشاكل، وررينى البرنامج"

أعطتنى الكتاب و أخذت أقرأ قليلا ثم هززت رأسى و قلت لها "بسيطة، انا مستعد أشرحلك عشان تتعلمى شوية برمجة و بعدين تقدرى تعملى اللى انتى عايزاه".

ابتسمت لى ابتسامة ممتنة فقابلتها بابتسامة بروفيشينال و تعاهدنا على اللقاء غدا حتى نبدأ الشرح، و فارقتها متفكرا (غدا ستأكل قطعة من كبدى، غدا سأسقط صريع تلك الحسناء كما سقطوا جميعهم، غدا يومى الأول فى النزيف الأزلى الذى لا علاج له)

و بينما هى تسير و بعد مسافة قليلة غنيت "جحدتها و كتمت السهم فى كبدى ... جرح الأحبة عندى غير ذى ألم"

و جاء الغد

و أصبت بإحباط ليس له مثيل

بعد ساعتين من الشرح لم تستطع أن تستوعب أى شئ، و تخللت تلك الفترة ابتسامات جانبية و محاولات منها كى تفهم مالذى أوقعت نفسها فيه. ثم ثارت فجأة: "أنا مش فاهمة حاجة، ايه اللى انتا بتقوله ده، معلشى قولى هوا انا هاعرف اعمل الكلام ده؟؟!!"

أنا: "بالطريقة دى ما أظنش، انتى مش مركزة خالص، و عقلك فى حتة تانية"

هى: " انا مش عايزة اعمل كل ده، أنا عايزة آخد أعمال السنة، عايزة أنجز و أخلص"

عرفت الآن لم طلب منها الدكتور هذا العمل بالذات

"بصراحة" هذا أنا، "انتى لازم تدخلى للدكتور و تقوليله انا مش هاعرف اعمل البرنامج ده"

هى:" إزاى، ما ينفعشى، انا خلاص قلتله هاعمله"

امتعضت كثيرا: " بقولك روحى قوليله مش باعرف اعمله، و هوا هيتطوع و يقعد يشرحلك زيى كده، فى الآخر حيزهق و يقولك اكتبى اى حاجة و يديكى أعمال السنة، هوا عامل كده مخصوص عشان تسأليه"

نظرت لى فى ارتياب و قالت "اشمعنى؟؟!!"

لم أصارحها بأن الدكتور شأنه شأننا كلنا ... بعض اللحظات التى سوف تنير له حياته (ولم يكن كبيرا) و على هذا فهوا يطلب ما نطلب من القرب و الوداد.

أشرت لها على قطعة محددة و جعلتها تحفظ الأسئلة و أن تتوقع الأجوبة.

ابتسمت هند (إن ما تجيده تلك الأريبة هى الإبتسامات الساحرة) و كأنها تشكرنى و ذهبت إليه

بعد يومين حدث ما توقعته و أشارت لى بعلامة النصر

ثم لم نتكلم بعدها أبدا

أفقت على صوت هذا الوغد يسألنى "ماذا حدث عندما ذهبت معها ؟؟!!"

فنظرت إليه مشدوها "هيا مين؟؟!!"

فنظر لى فى حدة: "هند يا أخى، هند"

أنا: "انتا مش متجوز يابنى، و عندك بنت و بنت تانية جاية فى السكة"

هو: "خلاص مش طايق، مش عارف أعيش فى البيت، مش قادر أفكر غير فيها، سافرت و رقمها ما بقاش يرد، و مش عارف أعمل ايه، كل ما ابص فى وش مراتى تفكرنى بيها،

بافتكر كل مكان قعدنا فيه مع بعض، كل ضحكة كل همسة، كل نكتة بايخة كانت بتقولها"

أنا: "طب و مراتك ياعم الولهان، و بعدين لقيت واحدة شبهها فى الشغل، قمت خلاص عايز تتجوزها، يعنى هوا ده التعويض اللى انتا عايزه، انا مش فاهم، هل لما تعمل كده فاكر انك هتحل المشكلة؟، و بعدين التانية لو اتجننت و قبلت بيك تفتكر هترضى انها تكون صورة لواحدة سابقة كنت بتحبها قبل كده."

ثم أتبعت: "و جايلى أساسا ليه؟؟!!، أنا هعملك ايه أساسا ؟؟ يعنى عايزنى مثلا أجيلك الشغل و اقول لزميلتك كان فيه واحدة بنحبها فى الكلية و انتى شبهها قوى فمعلشى اتجوزيه، و أساسا أنا لو رحت اعمل ده، ما أتجوزها أنا و أخلص"

نظر لى من فوق لتحت و قالى " أنا عارف ان انتا ما تقدرشى على الجواز، يادوبك مقضيها، صعلوك كده ما بتعملشى حاجة."

هنا صعد الدم إلى رأسى و رددت عليه فى هدوء قاتل: "لا علاقة للمقدرة بالقناعة، ربما أكون لست قادرا على إعاشتها، و لكننى قادر على سلب عقلها لو أردت، إن هذا لشئ مقيت ولم أجربه قبل اليوم، و لكنه موجود، لشد ما أعلم وجوده، فقد اختبرته كثيرا، و أضاع منى الكثيرات ممن حسبتهن أرقى من هذا، فإذ بهن يستسلمن للحس و للأوهام، كأن هذا الذى سحر عقولهن قادر على تقديم الأكثر مما أقدم أنا، قل لى !!! ألم تفعل هذا مع حنان، ألم تسلبها عقلها بعد أن انقضت الجامعة و أيامها، ألم تجعلها فريسة لك بعد أن خسرت هند للأبد ؟؟!!"

بدا الغضب على وجهه و بدا كأنه سيضربنى: "انتا بتتكلم عن مراتى يا كلب، فريسة ايه و بتاع ايه اللى انتا بتقوله ده"

رددت عليه فى صرامة: "لو مش عاجبك كلامى اخرج بره، انا ماعنديش وقت للقصص الحمضانة دى، و خلى بالك انتا ما كلتش الخبيزة، يبقى مالكشى حاجة عندى" و ابتسمت باستخفاف.

أطرق فى الأرض و علمت أن موقفه الآن بحاجة إلى المساعدة أكثر منه إلى اللوم و التقريع، لقد أدرك فجأة أن حياته ضائعة، و أن ما بناه كله لم يكن لهدف محدود أو له تأثير فى الآخرين، لقد كان هناك معها تلك الشقية التى أكلت كبده كله و ذهبت إلى حال سبيلها، تغترف من متع الحضارات الزائفة و بريق الأضواء، و زاد الطين بلة، أن نزلت دموعه على السجادة.

يادى النيلة، ماهى ناقصة الاقى واحد بيعيطلى فى غرفتى الحارة، والساعة الآن الثالثة، و طبعا أهلى راجعين البيت، أقولهم ايه؟!! الشاب اللى بيعيط ده عايز يسيب مراته و يروح

يتجوز واحدة شبه حبيبته بتاعة زمان. طبعا لو ابويا مسكه مش هايسيبه غير لما يديه من المنقى خيار.

قمت و لبست بعض ثيابى المهلهلة و أخذته لنتمشى قليلا ...

ربما أستطعت تهدئته و إرجاعه إلى بيته و أولاده.

الفصل السادس
"بلاوى الناس"

"لقد أخطأت" ... هذا ما جال بخاطرى و أنا أسير معه فى الشارع

لقد فقدت توازنى و فرت منى دمعتين جعلت هذا الوغد يجبرنى على النزول معه

و هو الآن يتأبط ذراعى و يجبرنى على السير فى ذلك الجو الحار بعد أن جعلنى أترك سيارتى مكانها

إن الجو حار حار

مشينا سوية حتى محل القصب، وقد سال منه العرق بأفظع مما كنت أتصور، مالذى جعلنى آتى له فى المقام الأول.

"هاتلى قصب" يقولها بكل قوة و كل استبدادية كأنه لزاما على أن أنفق عليه، التفت إلى البائع و قلت له واحد قصب و بينما أنا أعطيه النقود، وجدت صوته يرن فى لهجة آمرة "اتنين قصب لو سمحت"

ثم نظر لى مبتسما "هتشرب قصب معايا غصب عنك"

اللعنة، اللعنة

لشد ما أنا متضايق أشد الضيق من هذا الموقف، غير إن احتياجى إليه أكبر من أن أصفعه الآن، فلأتزوجها أولا ... ثم نرى ماذا سأفعل معه.

وبينما هوا فى نصف الكوب سألنى: "أخبرنى لماذا لم تتزوجها حتى الآن، من الجلى أنك طلبت منها ذلك و أنها رفضت، و من المؤكد أيضا أن رفضها منطقى، فهى لن تقبل أن تكون زوجة ثانية ... ما الداعى لذلك القيد وهى ماهى من الجمال والمال، و ربما الحسب و النسب؟؟"

نظرت إليه متشفيا و قررت أن أفرغ فيه بعض الغل

أنا:" إذن فلتعلم أيها المغرور الذى يحسب نفسه يعرف كل شئ بأنها لم ترفضنى لتلك الأشياء .. على العكس تماما"

هو: "ايه يعنى!!، اترمت فى دباديبك بس طلعت ما بتخلفشى و خايفة تبقى عائق عليك، و للا أبوها طلع غواص فى بحر البلاعات، و خايفة انك تعرف وتقولها احنا مافيش بينا تكافؤ؟!!"

صرخت فى وجهه: "لأ لأ، ليس ذلك ايها العفن، إنها ليبرالية ... هل تفهم ... ليبراااااليةَ ... ليبرااااااااااااليةَ أيها التافه"

ثم فجأة انتبهت أن كل الشارع ينظر إلينا و أن بعض الناس بدأوا يتوافدون... "معلشى يا سعادة البيه" ... "المسامح كريم" ... "لا حول و لا قوة إلا بالله" ... "وحد الله يا أستاذ مش كده" .. لأفاجأ بأننى كنت على وشك أن أهشم رأسه بكوبايةَ القصب.

أجفلت و تركته من بين يدى فتراجع للوراء و أخذ يسعل و ساء الوضع عندما وقع كوبه فتحطم على الأرض، غير أنه أشار للناس بأن الموضوع انتهى و (ان خلاص حصل خير)

لم أعد أعى ماذا أفعل، لقد سفه منى و من مشاعرى و لم أستطع أن أكبح جماح غضبى ... نظر لى نظرة خاويةَ ... ثم نظرة بها بعض الغثيان و الكثير من الإمتعاض كأنه يقول (عليك و على أمك يا أخى)

"تعالى معايا" هكذا قال و سحبنى من يدى، ثم دفعنى دفعا إلى أقرب ميكروباص ... "رمسيس ياسطى لو سمحت"

التفت إليه "و العربيةَ"

قال بدون أن ينظر "مش هتطير، مش هتطير"

بعد فترة وجيزة قال لى: "إذن فهى ليبراليةَ .. انا لا أفهم ما علاقةَ هذا بالزواج .. بالتأكيد انت تعرف معنى الكلمةَ لذا لا داعى لترجمتها حرفيا .. و لكن كيف علمت عنها هذا .. أهذا استنتاج محض منك؟؟"

نظرت إليه فى عجز و قلت: "لا لم أستنتج، كلما خرجنا معا فاتحتها فى موضوع الزواج، فتضحك و تتقافز نحوى، ثم تقول لى أنا ليبراليةَ، تذكر ذلك .. أنا ليبراليةَ يا طفلى المسكين .. ولأننى ليبراليةَ فلن أدعك تضعنى فى قفص كالعصفور"

ثم تنظر لى كأنها تشفق على و بعدها تضج بالضحك حتى يراها كل الناس

نظر لى باستغراب ثم سألنى: "هل تعرف شيئا عن أهلها، أبوها .. أمها .. ابن خالةَ اللى جابوها .. أى حد من العيلةَ؟؟!!"

بدا و كأنى أفقت من كابوس مزعج و أخذت أحاول أن أتذكر و لكنى لم أذكر أى معلومات عنها .. فقد كانت بئر أسرار لا قرار له

عبثا حاولت أن أذكر لها أى موقف مع أحد لم نره من قبل .. و لكنى لم أتذكر

ثم نظرت له فى تحد: " لا أذكر شيئا، و لن أدعك تنستنج استنتاجا ذكيا بأنها كانت تلعب بى أو تستخف بى، فأنا اعلم إنها تحبنى حبا جما، إن تلك الأحاسيس لا توصف و لكنها صادقة، إننى متأكد من هذا، إننى لست غرا ساذجا أو صبيا تافها ممن يسقط فى براثن ضحكات الفتاة"

ثم هززت رأسى بعنف أن لا

"أنا مقطع السمكة و ديلها يا حمار .. انا اعرف بنات بعدد شعر راسك"

قاطعنى بسماجة: "بس ولا واحدة فيهم ليبرالية، و ده الجديد يا بقف" ثم ابتسم و وصلت العربة إلى رمسيس.

نزلنا و ذهبنا إلى مول الهيلتون

أخذنا نتمشى سوية

حكيت له كيف التقيتها اول مرة فى العمل عندما كانت جديدة علينا، فأومأ برأسه موافقا

ظللت أحكى و أحكى

عن حلاوة لسانها

و رهافة مشاعرها

عن بكائها المستمر

و عن حبها للقطط، و عطفها على الشحاذين

عن الثلاثة ليال التى قضيناها فى فرع الشركة فى أسوان

و عن غنائها الرائع بالفرنسية و رحلاتها فى جنوب أفريقيا

"ليا عشم وياك يا جميل ان بحت بالسر تصونه ... مكتوب عليا أحب و اميل و حبيبى واحشانى عيونه"

فجأة وجدته يغنى هكذا ... "يا عينى مال الجميل مشغول و متحير" .. "يا وابور قولى رايح على فين"

فنظرت أمامى لأجد فتاتين تتراقصان فعليا أمامنا .. فوقفت و ثبته معى لأوقفه

لقد كان التعس يتغزل فى الفتيات بينما أنا غارق فى الحديث عن مأساتى

نظر لى نظرة بلهاء: " صحيح صحيح، قلت لى إنها تعطف على القطط و تحب الشحاذين، كل الشحاذين يملكون تلك الهالة التى تجعل الليبراليات من أمثال صديقتك يحبونهم، لربما اختلط عليها المعنى بين الصعلوك و بين الشحاذ، فالصعلوك قد يكون غنيا، و الشحاذ لا يمكن أن يكون صعلوكا"

كتمت غيظى حتى لا أهشم رأسه تلك المرة فعليا

نظر إلى الساعة و قال "هلم... ادعونى على العشاء .. فى بيتك أيها الزميل الكريم"

مستنكرا رددت عليه: "أكيد لأا!!"

و بعد دقائق كنا فى الميكروباص المتجه إلى ٦ اكتوبر.

أمسكت بذراعه متوسلا :" ستأتى معى غدا إلى العمل، و ستعمل جاهدا على أن تجعلها ترضى بى و بزواجى منها ... أرجوك .. افعل هذا لأجلى .. إننى متأكد من أنك الوحيد الذى سوف تستطيع إقناعها بذلك"

نظر لى نظرة خاوية ثم غمغم "كنت نفعت نفسى يا اهبل"

و فجأة ذهب فى نوم عميق

لا بأس

إن الطريق حتى البيت طويل

طويل جدا

الفصل السابع
"أحمق و أبله"

وصلنا إلى بيته

ها أنا ذا أدخل بيته لأول مرة كى آكل من عشائه و أتضاحك مع بنته الصغيرة

و أأتنس بجوه الأسرى ثم بعدها أخرج لأهدم البيت و الأسرة

أخرج كى أساعده على ترك صاحبته و بنيه و فصيلته التى تؤويه

آكل من طعامه و أبيت فى بيته الآمن كى أستطيع حمل معول هدمه صباحا

على باب البيت رحبت بنا حنان و سلمت على

الحمل واضح عليها و يبدو أنها تحمل ولدا و ليس بنتا

إن حجم بطنها لهو ذلك الحجم الذى يدل على الولد و ليس بنتا كما قال

لذا فقد أيقنت أنه حقيقة لم يتابع معها أمر ذلك الحمل ..

ابتسمت لنا و رفعت الكبشة و قالت : "اتفضلوا، يا خطوة عزيزة ... فينك من زمان .. وحشتنا أغانيك و الحاجات الجميلة اللى كنت بتعملها"

يبدوا عليها البشر الحقيقى بأنى جئت، كأنها كانت تتمنى مجيئى

وجدت طفلته ذات الخمسة أعوام تقول بابا و تجرى نحوه و تطبق على رجله

لم أستطع الدخول فوقفت على عتبة الباب و أحسست بقلبى يهدر من الحزن .. وضعت يدى على الحافة و انتظرت قليلا ريثما أهدأ

أشار الى بالدخول فتحاملت على نفسى كى أدخل

أدرت نظرى فى البيت

أثاث مكدس

مصحف .. سجادة صلاة .. راديو المطبخ على إذاعة القرآن الكريم

اللون البنى المحبوب للنيش و السفرة ... ثم الأنتريه المدهب .. و ثريا صغيرة معلقة

بعض الأوراق الملونة متناثرة فى الأرض .. صلصال تلعب به البنت و تضعه فى فمها كى يوبخونها بعد ذلك على هذا الخطأ

نظرت إلى البيت الذى طالما حلمت بأن أصنع مثله فى يوم من الأيام

ستة أعوام و يريد هذا المجنون أن ينهيها كلها لأنه عاجز عن التخلص من آثار الماضى.

و من أجل من تدعى نفسها ليبرالية (تلك الغادة الهيفاء التى تغير مذهبها حسب ما يجهله ذلك الغر الذى بحث عن حريته و تجاهل حرية أسرته و بنائها)

ألا سحقا لكل الأيدولوجيات التى تهدم مثل تلك الأسرة الصغيرة.

بعد هنيهة من اللعب مع الطفلة

جاء الطعام

فأصررت على الجلوس على الأرض

و لقد حبذت حنان هذا كثيرا لسبب لا أعرفه

و فرشنا الجرائد و وزعنا الأطباق

جلست القرفصاء و جلس الغر بجانبى

و جلست حنان و أجلست بنتها على حجرها كى تطعمها معها

أكلت أكلا شديدا و شربت لترا من العصير

قمنا إلى الصالة و جلسنا على الأنتريه

"بيتك جميل ولله" هكذا قلت فى هدوء

"سيأتى الشاى بعد قليل" قال هذا ثم جاء جانبى و أمسك ذراعى ثانية "هييه ... قلت ايه ؟؟! هتيجى معايا بكره و للا لأ؟!!"

أجبته فى ضيق: "ايوه أيوه جاى .. ما تقلقشى"

جائت حنان بالشاى فى تلك الأكواب التى تعرف قطعا إنها للضيوف.

قالت حنان: "تتصور ان ما فيش حد بيجيلنا خالص، جوزى محرج عليا انى أتصل بحد و لا أكلم حد .. انا مبسوطة اوى انك جيت .. انتا اول واحد مشترك نعرفه يدخل البيت ..

مافيش حد بييجى .. و لما أهلى بييجوا ما بيقعدشى معانا " ثم نظرت له نظرة ذات معنى و من ثم أتبعت "اترقيت فى الشغل من ٦ شهور و بقيت رئيسة قسم المصممين .. و مافيش حاجة تتصنع قبل ما اوافق عليها"

هززت رأسى فى إكبار و قلت لها "مبروك مبروك .. دى حاجة جميلة وللهى"

الغر يجلس جانبى صامتا (إذن فلم يحقق نجاحا يذكر فى العمل) نقطة أخرى تضاف إلى رصيد اهتزاز ثقته بمنظومة سى السيد و أمينة.

بعد لحظات من الحوار أدركت أن حنان لم تعد كما كانت. لقد كبرت و كبر معها عقلها و خبرتها فى الحياة ولكنها تلك الخبرة السيئة التى تود أن تمحوها من ذاكرتها. صارت أقدر على توقع الأشياء و الأحداث. تعرف يقينا بأن أسرتها على وشك الإنهيار، و لكنها لا تملك إللا خبرة أهلها الطيبين فى تلك النقطة.

(تضحيات فوق المعقول لحفظ الأسرة).

(كونى له عائشة يكن لك محمدا).

(التفنن فى إجادة الطعام).

(تحفظ فى المصحف الشريف و تذهب للأخوات).

(تأخذ بالأسباب الدينية و الروحية إلى جانب الأسباب المادية و الطبيعية).

و مع ذلك ظل معها ذلك الجزء العملى الذى جعلها تتمسك بالعمل أكثر. صارت أكثر حيطة لنقودها و تدخر للزمن. تراجع نفسها يوميا و ترى الأمثلة السيئة التى آلت إليها علاقات أخرى.

باختصار ... كانت تتعامل ببساطة الصور الذهنية التى نراها فى التلفاز و فى السينما (تلك المرأة المغلوبة على أمرها)

و لكنها كانت لامعة فى عملها ... ناجحة إلى أقصى درجات النجاح ... فى كثير من الأيام يراودها ذلك الخاطر المزعج الذى يدعوها للإنفصال، ذلك الخاطر الذى يدفعها لمراجعة حياتها (ما الدافع الذى يجعلها تنفخ فى قربة مقطوعة)

"الأسرة، ما ألذ الأسرة، إننى أتبنى وجهة الدكتور عبد الوهاب المسيرى فيما يعرف بإنشاء جمعية حقوق الأسرة عوضا عن جمعية حقوق الإنسان،عارفة يا مدام حنان انا اترفضت كام مرة لغاية دلوقتى ؟؟!!"

أفاقت على كلامى "هه ، ايه ده هوا انتا لسه بتدور على واحدة تحبك، ها ها ها، اعقل بقى ، انتا لو كنت عاقل كان زمانك متجوز من زمان، بطل الهبل اللى انتا فيه ده و خليك راكز كده و ملو هدومك" ثم اتبعت قائلة "انتا مشكلتك انك محتاج واحدة تكتشفك، اصلك دايما كده بتدى عن نفسك صورة مش هيا الصورة المظبوطة، البنت لما بتبقى معاك بتخاف على نفسها منك، بتحس ان انتا ما يهمكش أى حاجة، وكمان ممكن تطنشها و تجور عليها بكل سهولة"

فتحت عيناى بدهشة و هتفت: "أنا، انا اخوف ؟؟!! ، ليه يعنى ؟!! مناخيرى حادفة شمال و للا بامشى اتشاكل مع خلق الله؟؟"

"يابنى افهم " هكذا تقول – "اى انثى محتاجة حد يحسسها بالأمان، تحس انها معاه مش هتخاف على نفسها و على حياتها و بتقيس الموضوع ده من طريقة تعامله مع الناس و طريقة حياته، خد عندك جوزى مثلا، قاللى هاحميكى، قمت وزنته و هوا بيتكلم و وزنته هوا بيتعامل مع الناس، قمت واقعة فيه علطول"

اغتظت كثيرا: "يعنى مشكلتى فى الدنيا انى احميها، يعنى انا كل اللى بوظ علاقاتى السابقة التى لم ترق إلى تسميتها بالعلاقة حتى، انى ماكنتش بادى الحماية لهن، أما انا صحيح مغفل!!، عموما ملحوقة، المرة الجاية هقولها هاحميكى هاحميكى، من الهوى الطاير هاحميكى، و من غدر الناظر هاحميكى، و من كيد العزول هاحميكى، و ابنيلك قصر عالى، و اخطف نجم الليالى ، و اعمل طبيب مداوى، و تبقى احلى الصبايا"

قالت: "شفت اززاى بقى، واديك عارف كام كلمة حلوة كويسة اهه، مش لازم الحياة الناشفة اللى انتا بتصدرها للبنات دى، كلمتين كده كويسين اهم، يفكوا عنك النحس اللى انتا فيه"

قالت هذا ثم استأذنت لأن الوقت قد تأخر و هى تحتاج إلى النهوض باكرا، كى ترسل البنت إلى أمها و تذهب إلى العمل صباحا.

ما قالته لم يكن جديدا على .. و على العكس .. فقد طمأننى بأننى أمام زوجة نمطية (Standard) بقى ذلك الزوج الذى لم يعد صالحا لتلك الحالة .. يجب على تنميطه على متطلبات الأيزو ٥٠٠١ للأسرة السعيدة.

أفكر هكذا بعد أن ذهبت إلى غرفة الضيوف كى أبيت عندهم الليلة.

"ألوو، ايوه ياباباً" .. "انتا فيييييييين؟؟" .. "أنا عند واحد صاحبى" .. " و هترجع امتى ؟!! على وش الفجر ان شاء الله؟؟" .. "لأا يا بابا انا هبات عنده" .. "تبااات ايه يا زفت، احترم نفسك و ما تبقاش ضيف تقيل" .. "يا عم الحج حاضر .. بس أصله محتاجنى فى مشكلة عنده و

هوا اللى متبت فيا." .. "يووو ووه .. عيال آخر زمن .. طب عشاك و للا لأا" .. "ايوه يا بابا عشانى" .. " طب اتعشيت ايه؟!!" .. "بكرة، بكرة يابابا اقولك .. يللا سلام بقى .. سلام عليكم"

أغلقت التليفون و دخل عليا صديق اليوم زميل البارحة

"مش هاوصيك بقى .. ابوس ايدك اعمل اللى تعمله بس حاول تخليها ترضى"

قلت له " طبعا أنت تعلم أنه لا توجد نتائج لحظية، و أن تلك الأمور تأخذ وقتا قد يطول"

فتح عينيه على اتساعهما و قال: "بالتأكيد، بالتأكيد، انتا ما تعرفشى ان معايا MBA ماجستير إدارة الأعمال .. طبعا الحاجات دى بتاخد وقت .. المهم تورينى نتايج عشان اعرف اذا كانت خطتك ماشية صح وللا لأا" (الآن يتعامل معى كأداة لنيل ما يريده .. حسنا .. فلنرى)

ثم أمسك بذراعى المهفوف ده لتالت مرة النهارده "انتا الوحيد اللى هيقدر على الموضوع ده صدقنى .. مافيش حد غيرك هيعرف يمشى فيه"

فأغلقت النور و طردته من الغرفة ثم أغلقت الباب و ارتميت على السرير.

الفصل الثامن
"المزة الليبرالية و أحلام الفتى الأصولى"

"لم يأت بعد"

"لقد تأخر، تأخر كثيرا، كيف له أن يتأخر، سأحسم هذا من مرتبه"

"لقد تمت ترقيتى و لم يأت بعد"

"كيف سأخبره إن لم يأت ذلك الغبى"

أغلقت باب حجرتى .. أصبح عندى الآن حجرة خاصة .. اتجهت إلى المكتب و ارتميت على المكتب فى سعادة متذكرة ما حدث صباحا.

"لقد تمت ترقيتك يا أستاذة سهام .. أنتى الآن فعليا مديرة الموارد الإنسانية .. لقد استقالت المديرة السابقة لظروف عمل زوجها فى الخارج ، و سوف تقدم لك تقريرا بالأعمال المنتهية و الأعمال التى يجب أن تنتهى"

ثم ابتسم لى قائلا: "إنها صديقتك و أنا أعلم هذا، و لكن يجب أن أحذرك أنك سترثين تركة ثقيلة منها، و يجب عليك العمل على أن تستمر الشركة فى أحسن حال"

أجبته مبتسمة: "لا تقلق حضرتك، إننى لن آلو جهدا فى بذل ما بوسعى كى أتم العمل على أكمل ما يكون، و سوف ترون مستقبلا نتائج هذا الجهد"

أجاب مترددا: "إن شاء الله، إن شاء الله" ثم أعطانى ملفا ذو غلاف أخضر قائلا: "هذا أول عمل لكى كى تدرسيه .. أعلم إنه مرهق و لكنه لصالح الشركة كلها" أشار لى بالخروج "كلنا سننتظر ماتفعلينه فى هذا الملف بالذات .. لذا وجب التنويه .. و عليك الحرص أى الحرص على تلك البيانات .. فلتراجعيها و تثبتيها و تتأكدى من بياناتها"

خرجت من عنده و أنا فى كامل سعادتى .. و عندما أغلقت الباب ورائى .. قفزت من السعادة .. و ضممت قبضتى و ضربت بها الهواء

الآن فقط سأبدأ مشروعى الطويل .. و سأعرف كيف أنجزه .. باللين أم بالقوة .. لن تقف فى طريقى تلك العثرات السخيفة.

من المهم الآن أن أجده ... أن أعثر عليه ... أن يفرح معى .. أين هو؟؟

أخذت أبحث عنه فى أروقة الشركة .. أحيى تلك و أبتسم لهذا .. ذهبت إلى النافذة و أطللت عليها على أجد سيارته فلم أجدها.

بعد قليل ظهر على الباب و بجانبه شخص ما تبدوا عليه علامات الحيرة و التوهان إن صح التعبير

ذهبت إليه مباشرة و انقضضت عليه: "هاقولك سرر فظييع" نظر لى متسائلا "لقد تمت ترقيتى .. لقد أصبحت المديرة" التوى منخاره بتلك الطريقة المضحكة و التى دوما ما تظهر عندما لا يفهم ما حدث

"تعالى معى" و أمسكته من يده و جررته جرا إلى مكتبى الجديد

أخذ يتهته قائلا ما معناه أن زميله هنا و يريد أن يأتى هو الآخر فنظرت إلى زميله التائه و أمسكت يده هوا الآخر

"تعالى معنا يا وجه السعد"

وصلنا لغرفة مكتبى و صرخت بصوت عال "تلاتة لموووووووووووون" و أغلقت الباب عليهما.

جلسا أمامى على المكتب و جلست وراءه

"الآن أنتما تنظران إلى مدير الموارد الإنسانية الجديد" ثم وضعت نظارتى على عينى و أمسكت قلما رصاصا و نظرت إلى صديقه التائه

"اسمك و سنك و نفسك تشتغل فى ايه؟!!"

نظر لى مستبشرا "هاخد كام الأول؟؟ البيانات بتاعتى على أد المبلغ"

شخبطت فى الورقة "اللى انتا عايزه، قول عايز كام و انا اديهولك"

أغمض عينيه ثم قال "نص اللى انتى بتاخديه"

نظرت له بمكر "لأ ناصح .. عايز تعرف أنا باخد كام .. و ليكن .. مرتبك ٢٠ ألف جنيه"

شهق صديقى الآخر

لشد ما تعجبنى حماقته .. لطالما كان يصدق أى شئ أقوله

نظرت له فى عطف أن لا تقلق يا صغيرى "سأزيد من مرتبك و سأرفعك درجتين مرة واحدة .. هاه .. ما تزعلشى بقى"

الآن ينظر لى التائه مبتسما: " تتعاملين معه كأنه طفل .. هل أنتى أكبر منه فى السن؟"

سقط منى القلم الرصاص .. ما الداعى لهذا الحديث الآن .. و لكن لا بأس

"أى نعم أنا أكبر من صديقك بثلاثة أعوام على الأقل"

رأيته يقف .. يمسك بالآخر .. يقول له " ياللا نروح"

لم يقف حبيبى الأحمق و أجبره على الجلوس : "أرجوك، أرجوك، فلتقل لها"

امتعض التائه و جلس ثم نظر لى فى عيناى و غمغم "لا تشبهينها إطلاقا"

ابتسمت له و قلت له "بالتأكيد .. أنا أجمل منها بمراحل .. و أذكى .. و أكثر دماثة و .. رونقا"

ضغطت على حروفى و أنا أقول "رونقا"

جاء الليمون و شرب التائه قليلا ثم نظر لى من قمة رأسى حتى ... أسفل عنقى

ثم أشار إلى حبيبى الأبله بأن يخرج "ممكن تسيبنا شوية عشان اكلمها عن السى فى بتاعتى"

خرج حبيبى الولهان و أغلق الباب وراءه

نظر لى التائه و بعد أن قدم نفسه قمت و درت حول المكتب قائلة "لقد أفسدت على نفسك الوظيفة، لقد كنت على وشك أن تفوز بمنصب رائع" ثم أرسلت له نظرة شامتة "مساعد مدير الموارد الإنسانية"

أشاح بوجهه قائلا: "لقد تم إحباطى .. على أيه حال أنا هنا لأن صديقى أو زميلى اللدود يريد الزواج منك .. و لقد صمم على أن يجعلنى مرسال الخير بينى و بينك بعد أن رفضت أنتى طلبه العديد من المرات .. شكرا لك على استضافتك و على الليمون"

ثم هب واقفا و اتجه إلى الباب "هاخرج اقوله انك هاتفكرى جديا و انك مش عايزة تخربى على عيلته، و ياريت تحاولى ترجعيه لعيلته عشان انا مش عارف فعلا ممكن اعمل معاه ايه .. Fair enough .. سلام"

"انتظر" صرخت فى وجهه فتثبتت يده على الباب

"تعالى لو سمحت اقعد عشان نكمل الكلام" أقول هذا و الغيظ يأكل صدرى .. يريد أن يخرج هذا الأحمق من دون أن آذن له .. كيف بعد أن أصبحت المديرة يأتى مثل هذا التافه ليعرض على الزواج ثم يخرج هكذا .. كيييف؟.

جلس أمامى و أخذ يضغط على صدغيه فأخذت أسبرينا من حقيبتى و كوب من الماء ووضعت الأسبرين فى فمه و سقيته الماء ... بيدى

كان متعبا .. ثم انتبه فجأة إلى ما افعله .. فأجفل و نهض من المقعد ..

نظرت له بشراسة : "مالك مافيش حد سقاك مياه قبل كده" فنظر لى فى دهشة ثم صمت قليلا

الماء يتساقط من جانب فمه على قميصه .. ٤ قطرات فى اربعة ثوان كأنها الدهر

صوت دقة الساعة و هدير المكيف هما كل ما أستطيع أن أسمعه الآن .. تحجرت عيناه نحوى .. و زالت تلك النظرة التائهة و حل محلها وجها خاليا خاويا

كأنى أراه من جديد .. هكذا انتبهت .. ثم ارتبكت فأشرت له بالجلوس

عقد حاجبيه و غمغم " و المجد عند الغانيات رغيبة ... يبغى كما يبغى الجمال و يعشق"

نظرت إليه بمكر "أحمد شوقى إذن ... إنك لصديقه المغنى الأبله الذى طالما كان يحكى عليك .. تشرفنا"

أسبل عيناه نحوى "و بين معشر أصدقائى نحرف البيت و نقول و المجد عند (الكاعبات) عوضا عن (الغانيات)"

ضحكت حقيقة مما يقول: "هل انتقلنا من العفيف إلى الصريح؟؟!! .. و لكن دعنا منى الآن أخبرنى كيف لا أشبهها"

نظر بخواء: "هى بيضاء شقراء و زرقاء العينين .. أنتى خمرية اللون و سوداء الشعر .. هى تستفز المشاعر .. أما انتى" نظر لى بإعجاب ثم أتبع فى هدوء "مزة ... مزة" و ضحك بملء فيه.

عند هذه اللحظة لم أعرف ماذا يجب علىا أن أفعل

أغضب و أطرده من مكتبى

أم أتعامل مع ما قاله كإطراء

ثم فكرت قليلا فإذا بى تعلونى حمرة الخجل

لأول مرة فى حياتى أسمع تلك الكلمة من فم رجل .. و تأتينى تلك الحيرة

هناك العديد من الرجال الذين تفضحهم عيونهم فيأتينى منها كل ما أريد أن أعرفه

ولكنه الرجل الوحيد الى أتانى ما أريد أن أسمعه من لسانه و ليس من عينيه

و إن هذا لغريب

غريب جدا

"ممكن ايميلك و السكايب و الماسنجر .. ولو برنامج الحياة الثانية "Second Life" عشان اعرف اتواصل معاكى فى الأهطل اللى واقف بره ده ؟؟؟"

كتبت له ما أراد "مش عايز التليفون؟؟!!" فالتفت و قال "شكرا شكرا .. انا الرجل الرقمى و ممكن نتكلم بالصوت على الماسنجر"

بعد أن خرج أخذت الملف ذى الغلاف الأخضر كى أطلع على محتوياته

و هتفت: "فلنبدأ العمل"

الفصل التاسع
"المهنية و الفصل بين الروح و الجسد"

"لقد تم فصلى من العمل"

قلبى يدق فى عنف و عيناى زائغتان و لا أعرف ماذا أفعل أو ماذا أقول

قامت و ربتت على رأسى و قالت لى "لا تكن طفلا و تقبل القرار بصدر رحب كالرجال، انك كثير الخبرة و تملك ما تملك من الشهادات العلمية و البيزنيس، و هناك الكثير من الشركات الأخرى التى ستتمنى توظيفك"

غمغمت و انا غير مصدق ما يحدث لى: "كيف سأعمل فى أى شركة أخرى بعد أن يعلموا أننى قد فصلت من العمل هنا ؟!!!"

أمسكت يدى و قالت: "لا تخف ... إن ما سنشيعه هو أنك استقلت من العمل لأنك تريد أن تتبع أحلامك التى طالما أردت تحقيقها"

نظرت إليها و أنا أكاد أبكى: "إنكى حلمى ... أنت"

ابتسمت و قالت: "و أنا لا زلت أمامك، إننى لم أذهب إلى أى مكان"

ثم ضغطت على يداى و أتبعت: "هيا قم .. و رتب هندامك كى تستطيع أن تأخذ مستحقاتك آخر الشهر ... لا تدع هذا يؤثر عليك .. فما أكثر الفرص بالخارج"

قمت و أنا أترنح .. فتحت الباب و خرجت زائغ العين

كأن سحابة بيضاء على عيناى فلا أرى شيئا إلا و كأن عليه ندف بيضاء من الثلج

أدركت بعدها أن دمعوى طفرت و أننى كنت أبكى من دون أن أدرى ... لم أحتمل فمشيت سريعا و توجهت إلى البيت

عندما دخلت البيت لم أجد حنان و لم أجد فتاتى الصغيرة

هذا طبيعى فما زلنا فى الظهيرة

دخلت إلى السرير و تكورت فيه

ثم تشنجت و أخذت أبكى و أبكى حتى تملكنى الصداع و جفت دموعى.

و بدأت الأفكار تتواثب سريعا

"كيف فعلت سهام هذا مع أنها تحبنى؟"

"هل كنت فعلا ذلك الغر؟!! ... مستحيل"

"كيف سأستطيع التقدم إليها بعد الآن؟؟!"

"هل لهذا علاقة بإصرارى الشديد على الزواج منها؟!!"

"ماذا قال ذلك الوغد عنى البارحة؟؟"

سقط قلبى من مكانه عندما فكرت "هل نفذ تهديده و سحر عقلها لتتخذه خليلا عوضا عنى؟؟!!"

لكن لا، ليس هو، ليس هو، ليس هذا من شيمه

ثم إنها قالت "إننى لازلت أمامك"

"ماذا سأفعل فى مصاريف البيت و أقساط السيارة ؟؟"

"و لو افترضنا أنه لم يؤثر عليها، فما المانع فى أنها هى التى أحست ناحيته بشئ ما؟!!!"

أحسست بالهلع مجددا

"هل تكون فعلا معجبة به لهذا الحد ... للدرجة التى تزيحنى من طريقها لتتفرغ له؟!!"

" ولكنها أكبر منه !!! اللعنة هو أكبر منى و لعلهما الإثنين فى نفس العمر"

"لماذا يحدث هذا لى أنا ؟!!! إننى لم أرتكب إثما و إنما فقط أردت أن أعيش مع من أحب"

ثم أجهشت بالبكاء

لم أعرف أبدأ أى حزن أكبر من الآخر

فصلى من العمل

أم شعورى بأنها رفضت محبتى و رفضت التعامل معى

قمت كى أتصل بها

أخذ الهاتف يرن و لكنها لم ترد

دخلت على الإنترنت فلم أجدها متصلة

"بالتأكيد مشغولة جدا، و سوف تخاطبنى وقت أن تفرغ من عملها ... بالتأكيد"

الفصل العاشر
"مرحى بالسعادة"

أعيش أفضل لحظات حياتى تلك الأيام

إن سهام ليست ذكية فقط و فاتنة فقط و أنيقة فقط

لا

إنها أكثر من ذلك

إنها تمنحنى ما أحب و تستمع إلى ما أقول و تشاركنى كل ما أريد أن أفعله

و أكثر من ذلك

إنها فعليا تدفع نفقات كل ما أفكر فيه

و لم تستح منى قط فى أى مكان نرتاده

هل تعلمون أنها تتأبط ذراعى بعد أن نخرج من سيارتها الفارهة ذاهبين إلى الأوبرا

لقد أخذتها إلى بيت العود و بدأت فى تعلم العزف على آلة السيتار

كل يوم أغنى لها أغنية جديدة من أغانى ام كلثوم فتستمع لى بلهفة ... و أظل ألون فى صوتى و فى تقاسيمى

ذهبنا إلى المطعم الدائرى فى برج القاهرة

أخذنا قاربا على النيل و أخذت أغنى لها "النيل نجاشى .. حليوة أسمر .. عجب للونه .. دهب و مرمر"

كلما قابلتها أنشدت فيها قصيدة جديدة

نتقابل يوميا

لا أذكر كيف بدأنا نتقابل هكذا كثيرا

لقد جائت و تأبطت ذراعى و لم تفلته حتى الآن

لقد قامت سهام بفصل نصف موظفى الشركة بسبب الأزمة الإقتصادية

مبهورا أنظر لها و أقول: "هل حقا بسبب الأزمة؟؟ أم أن هذا فقط مبررا للتخلص من بعض الأشخاص؟؟"

تضع يدها على وجهى و تنظر لى بعيناها الرقراقتين "و ما يضيرك أنت؟؟ إنك مفصول منذ الأبد يا عزيزى"

أضع يدى على يدها الموضوعة على وجنتى و أتمتم "نعم صحيح .. مفصول منذ الأبد كى تأتى و تصلينى أنتى"

تسائلنى: "هل تحبنى ؟؟!!"

أجيب: "الحب عندى مأساة إغريقية ... و أنتى سعادتى الأبدية"

تضحك و تقول: "أيجب أن أضع رأسى تحت مقصلتك كى تحبنى؟؟"

أنشد فى جدية قصيدة نزار القبانى

لا زلت فى فن المحبة طفلة ... بينى و بينك أبحر و جبال

الحب ليس رواية شرقية ... بختامها يتزوج الأبطال

لكنه الإبحار دون سفينة ... و شعورنا أن الوصول محال

ثم أبتسم و أقول لها "و كما ترين فأذرعنا متشابكة ، و سعادتنا متوثبة، و بناكل آيس كريم مع بعض"

تنظر لى فى جدية و تقول: "هل تقبل الزواج منى؟؟!!"

أنظر لها فى رقة: "تطرحين على سؤالا تعرفين إجابته مسبقا .. لن أستطيع تحملك بعد الزواج .. أبدا لن أستطيع"

تتشابك أصابعنا و نسير على الكورنيش

تضغط على يدى فى شدة و تقول: "لاضير، لا ضير،

لهذا أحببتك ...

لأنك لم تردنى قط"

الفصل الحادى عشر
"المترصد"

إنه يتبعنى فى كل مكان

أشعر بعينيه الثاقبتين تترصدنى فى كل مكان أذهب إليه

و الأدهى عندما أكون بجوار حبيبى الجديد .. أراه بعين الغيب فى كل مكان مظلم و فى كل مكان مقفر

حقيقة لقد بدأت أخاف منه كثيرا (إننى فتاة على أية حال)

و على الرغم من أن معظم الذين فصلتهم من الشركة تقبلوا القرار كأنهم كانوا يتوقعونه

إلا أنه لم يتقبله حتى الآن

يتصل بى عشرين مرة فى اليوم

يترك لى الرسائل على بريدى الإلكترونى

و انا لا أجيبه

لأنى ببساطة مللته

كنت أحبه قبل ذلك .. و لكنى الآن مللته

لقد اكتشفت أنه تابع

و انه لا يقوى على شئ

ينسب جميع الأفكار إلى نفسه

و لا يمتلك فكرة أصيلة يعرف بها

باختصار .. إن صديقه الذى اتأبط ذراعه الآن لهو حقا عكسه تماما

يصارحنى بأننى شريرة فى كل مرة ألتقيه فيها

و لكنه يجب مرافقتى .. كأننى فتاته الأولى

يالهذا الشعور الغريب

إننى فتاته الأولى ..

إنه يصب فى سمعى أشياء غريبة لم أسمعها من قبل

إننى عشقه الأول .. حتى و إن أنكر هذا أمامى

إننى عشقه الأول ..

و لكننى لست حبه الأول

هو يعشقنى لما أعطيه له من الوقت

فأنا تقريبا لا أفعل شيئا غير أن أتركه يقودنى إلى حيث شاء

ثم أدفع تكاليف رحلاته الغريبة

كل يوم يتصل بى "هيييه ؟؟؟ زهقتى منى وللا لسه؟؟"

أجيبه: "لا لم أمل منك بعد ☺ "

فيقول شعرا:

هلمى إذن إلى بلادى إلى خطراتى و أفكارى

إلى نيل مصر الجارى ساعات .. معك كالثوانى

فأضحك ، و أرتدى ملابسى و أنزل للقياه بسيارتى

يظل يعبث فى أزرار السيارة و يسألنى إن كنت أستطيع أن اسبق هذا أو أن آخذ غرزة من ذاك

أسأله من أين تأتى بكل تلك الطاقة المرحة

يقول لى: " من مزايا الإغراق فى الجدية .. السقوط فى المرح"

يدعونى إلى قارب فى النيل

و عندما يسألنا المسئول عن القارب "تريدون رحلة خاصة؟؟"

ينظر له فى امتعاض و يتمتم "أى متعة فى الجلوس وحدنا ؟؟!!!"

و نذهب مع الجميع فى رحلة نيلية قصيرة

أدفع أربعة جنيهات لى و له ، فينظر لى بامتنان غريب كأنى أنفقت على علاجه فى الخارج

يقول لى إننى شريرة .. أحمل فى داخلى بقايا فطرة سليمة

و فى آخر اليوم يودعنى

أصعد وحيدة إلى شقتى

أمسك ملفا آخر

لشخص آخر

كى أقلل من نفقات الشركة فى ظل الأزمة الإقتصادية

ترى ماهى الحجة الجديدة التى سأقولها لذلك المفصول الجديد .. غدا صباحا ؟؟!!

الفصل الثانى عشر
"الزوال"

لقد ذهبت حنان

تركت البيت و ذهبت عند أهلها.

لم تطلب الطلاق بعد.

أقوم كل يوم مترنحا من فرط كآبتى

اتسائل عن السبب الذى يحافظ على حياتى حتى الآن

ما جدوى الحياة

و ما جدوى الصراع

لماذا يقتتل الناس

لماذا يصرون على الصراخ

ماذا حدث لكل من مات

و ماذا سيحدث لكل من لم يمت

أين الحزن

و أين السعادة

أفكر فى كل هذا و أكثر كلما استيقظت صباحا

استيقظ فى السابعة كأنى ذاهب للعمل

فأقضى أسوأ ثلاث ساعات لى فى النوم على السرير

و عبثا أحاول السهر حتى وقت متأخر كى لأ استيقظ مبكرا

و لكننى أفشل فى هذا فشلا ذريعا

أنام عند الرابعة صباحا

و أستيقظ فى السابعة بعدها مباشرة

أفتح الفيس بوك و أنظر إلى أكاونت سهام المقفل على

فلا أعرف ماذا تفعل ..

لقد صحت شكوكى حول من حسبته صديقى

لقد أوقعها فى حبائله

ألم يكفه أنه أخذ هندا منى فى الماضى

و لكنه اليوم يأخذ منى سهام أيضا

فى آخر مرة كنت أتلصص عليهم ..

كانوا يسيرون فى الحسين حيث محلات الذهب

فأيقنت أنهم فى طريقهم إلى إعلان إرتباطهم الرسمى

اليأس

اليأس

لا شئ غير اليأس

و مع هذا ما أزال حيا

حيا رغما عن إرادتى

حيا رغما عن رغبتى فى عدم الإستيقاظ مجددا

أريد أن أنااام كثييرا

كثييرا

أبعث برسالة يائسة أخرى أطلب منها الزواج

و لكنها لا تعبأ بى

و المضحك انها فصلت كل من كانوا يعرفون قصة حبى لها

لشد ما يكرهوننى هم الآن

و لكنى لا أهتم

لقد تركتنى حنان

عند الباب صرخت: " انا رايحة عند ماما"

ثم صفعت الباب و خرجت

و لم تعد بعد

أسبوع مر

و لا أعرف ماذا تفعل !!!!!

اللعنة

أين طفلتى الصغيرة ؟؟؟

أين !!

أين ؟؟

الفصل الثالث عشر
"هند"

أنا هند

أرملة فى الثانية و الثلاثين من عمرى

أقف فى وسط صالة الزوار

أبحث عن "حنان" صديقتى الأثيرة إلى قلبى

التى لم تنقطع صلتى بها رغم ابتعاد المسافات

و انهماكى فى اعمالى التى لا تنتهى

أرقب الجميع فى المطار علنى أراها

أمسك بيد ولدى الصغير

الذى يتم عامه الرابع فى هذا الشهر

أعبث بشعره الأشقر الذى ورثه منى حتما

و أرى نفسى فى عينيه العسليتين .. عينا أبيه الراحل الذى تركنى

تركنى كى أواجه ذنوبى وحيدة ..

ازفر أنفاسى فى حسرة و فى صمت

"هند"

صوت من بعيد يخترق أذنى

"حناااان" ألتفت إليها فتجرى لى

تلقى بنفسها بين ذراعى

و تجهش فى البكاء

امسكها بشدة كى تتماسك

"أين هو الآن؟؟؟"

تتحدث مختنقة

" لقد اتبعت نصيحتك و أخذت البنت و تركت البيت

فى البدء كان يقضى يومه فى السير ورائهم

وراء ذلك الشخص الذى تعرفينه هو و تلك الحمقاء التى أفسدت حياتى كلها

و لكنه كما توقعتى تماما .. كف عن اللحاق بهم فترة من الزمن

ثم عاد إلى ملاحقتها مجددا .. لقد أصبح منظره غريبا

اتصل بى ذات مرة ليطمئن على البنت .. ولكنها مرة واحدة فقط

قولى لى كيف سترجعينه لى .. أجيبينى"

صمت قليلا .. ثم أخذتها من ذراعها و قلت لها

"دعينا لا نضيع الوقت إذن، فلنذهب إليهم بدون تباطؤ"

رافقتها إلى السيارة بعد أن خرجنا من المطار

جالسة جوارها شاردة الذهن

مصر .. كم اشتقت إليك يا مصر

أنظر إلى السيارات و إلى وجوه الناس

أبحث عن الطيبة التى افتقدتها فى دول النفط

عن أولئك الراضين الفرحين المستبشرين بما يقسم لهم ربهم

ألمح واحدا او اثنين

الحمد لله الذى يغير و لا يتغير

مازالت هناك بقايا من طيبة متناثرة فى وجوه الناس.

سأذهب معها كما أرادت

هى صديقتى و لن أتركها

على الرغم من يقينى أن تواجدى لن يفيد أحدا

و لكنها تصر على أن لى دخلا فى تلك المشكلة

سأنقذها اليوم مجددا

كما أنقذتها فى الماضى البعيد

أعلم أن زوجها كان متعلقا بى فى الماضى ..

حقا لقد فوجئت عندما علمت أنها تزوجته

لقد حذرتها مرارا من أنه ليس كما يدعى

و لكنها "ركبت دماغها"

ففعلت أضمن الأشياء و جعلتها تحلف لى بأن لا تخبره باستمرار صداقتنا

حتى أغلق هذا الباب نهائيا

أرملة أنا الآن

أرملة شقراء

زرقاء العينين .. عيناى كالبحر

عيناى كالبحر الميت

الذى لا يغرق فيه أحد أبدا

و لا يعيش بداخله قلب أبدا

كم رست فى عيناى بواخر و قوارب

هجرها أصحابها و تركوها فى عيناى

أغمضت عيناى .. سبب تعاستى .. و مصدر شقائى و التياعى

يا الله

لشد ما كرهت نفسى ..

كم تلقيت من اللوم و من التقريع على أشياء لم أفهمها أبدا

و عندما فهمت .. أغلقت قلبى و آثرت مصالحى فقط

فالجمال سلعة تذوى مع الوقت

و لكننى أغفلت روحى

فذوت روحى

نظرت إلى ابنى اللاهى فى ألعابه

إليك فقط يا قرة العين

أعيش

و أجد سببا متجددا للحياة

أنظر إلى حنان

و أبتسم

كم تمنيت أن أكون مثلها فى كل شئ

يا للعجب

هى ليست كاملة كما كنت أظن.

و انا لست كاملة كما كانت تظن.

الفصل الرابع عشر
"بداية النهاية"

حتى لا تتوه قارئى الكريم

إن الذى يتحدث إليك الآن

هو شخصى الذى بدأت به فى الفصل الأول

أجلس إلى مائدة مستديرة

على يمينى تجلس هند

و على يمين هند .. تجلس حنان

و على يمين حنان يجلس صديقى (الذى يتصادف بأنها لا تزال على ذمته حتى الآن)

و على يمين صديقى و يسارى فى نفس الوقت

تجلس سهام

كيف وصلنا إلى تلك المائدة

لن أعرف أبدا

على أننى بطريقة أو بأخرى

أشعر بأنى ضيف على هذه المائدة

قالت لى هند واجمة

"أنا لم آكل كبد أحد، هل تعلم أننى لم أنسى ماقلته لى سابقا عن هند بنت عتبة .. لقد بحثت عن صاحبة الإسم و علمت ما فعلت"

نظرت لى فى معاتبة

تعاتبنى عتابا كأنه الدهر

فى هذه اللحظة فقط شعرت كم كنت قاسيا

كم كنت مستهترا بمن حولى

" أنا لم آكل كبد أحد ابدا .. أنا لست دمية كى يقتنينى أحد .. أو كى يفاخر بى امام أصدقائه .. أنا انسانة عادية .. أرادت ما أرادت .. و حال بينى و بين ما أريد .. واقع أعيشه .. و أدركه فى كل يوم"

صمتت هند قليلا

" هل تشمون رائحة شئ يحترق ؟؟؟!!" هذه سهام تتكلم بقلق

سهام تفتقر إلى الكياسة حقيقة

أعرفها منذ شهر الآن

"إن الذى يحترق هو شيطانك يا عزيزتى" هكذا قلت لها ساخرا

صديقى ما يزال يرمقنى بطريقة عجيبة

أما آن له أن يفيق بعد

و ما زالت حنان تنقر على المائدة بعصبية بالغة

نظرت إلى هند ثانية

و لكن بمواربة و من دون ان تشعر

أحصيت أنفاسها

و خلجات وجهها

حتى ارتداد بصرها

و لم أصدق ابدأ انها بجانبى

"هذا يكفى، هناك رائحة شئ يحترق" سهام مجددا

و فجأة بدأت حنان فى الذعر

و اشتعل المكان الذى نجلس فيه

الصراخ يأتينا من الأدوار السفلية

و هناك دخان كثيف

صديقى يمسك زوجته فى جزع

و حنان مازالت تصرخ و تصرخ

ما الذى على أن افعله

جرينا إلى الباب

حاولنا النزول

و لكن الدخان المنبعث من أسفل المكان منعنا من النزول

هناك اناس يصعدون نحونا مختنقين

ما العمل ؟؟!!

هيا نصعد إلى الأدوار العلوية كى لا يخنقنا الدخان

صعدنا إلى السطح

"أين المفر؟!!"

أرى عربات الإطفاء

أحد عشر عربة

هناك كارثة على وشك الحدوث

صوت النار

يأكل العقار

وحش من وحوش الآخرة

أفلت عقاله فى هذه الدنيا

.

.

بعد ساعة من البكاء و النحيب

حدثت المعجزة

و هدأ الحريق

و أخذ الناس يحاولون الثبات

و النزول إلى الأرض

أخذ صديقى زوجته و انطلقا إلى بيتهم

نظرت لى سهام نظرة صامتة

ثم أشاحت بوجهها و قالت "سأتصل بك لاحقا"

و استقلت سيارتها و ذهبت

و بقيت أنا و هند

سألتنى عن أحوالى

و عن ما إذا كونت أسرة أم لا

أجبتها بالنفى

فهزت رأسها متفهمة

نظرت لى و قالت: "لم أشكرك يوما على مساعدتك الماضية لى"

"كنت أحب الإستماع إلى صوتك فيما مضى .. و لكنها أيام و انقضت"

سألتنى: "هل تريد شيئا ؟؟!!!"

أجبتها: " و هل تلبينه لى إذا سألته ؟!!"

فقالت: " وهل أملك من الأمر شيئا ؟؟!!"

فضحكت

و قلت لها "إذن لا أسئلك الآن .. و لا أسئلك غدا "

ابتسمت هند

ثم ردت إلى سفينتى و قواربى

و مضت

.

مضت إلى ذلك المكان

.

الذى مضت إليه أحلامى السابقة

أتممتها فى الساعة الرابعة صباحا من الثلاثاء الموافق ١٥ نوفمبر ٢٠١١

أحمد صادق محمد توفيق

١٦-١١-٢٠١١